دور الزاوية في تنميط الفعل الاجتماعي في صحراء توات[1]

(رمزية دينية لكبح حضاري)

باشيخ أسماء
بن خالد عبد الكريم
جامعة أدرار

ملخص:

تعرف توات الكبرى (أدرار) بتربعها على مساحة جغرافية مترامية، مما جعلها مكانا خصبا للتنوع السوسيو- ثقافي والتجليات الإثنية الكثيرة والعميقة، التي يجمعها تقاسيم الفاعل الصحراوي بكل ما يحمله من موجهات الفعل الاجتماعي من قيم وعادات وذهنية مجتمعية...وغيرها.

ناهيك عن الموجهات المؤسسية كمؤسسة "الزاوية" التي لها باع متأصل في المجتمع التواتي (الأدراري) والتي كان لها دور بارز في خلق سلوكيات ثقافية وتكريس أنماط من التعامل الاجتماعي في المجتمع برمته، الأمر الذي خلق نموذجا يتجسد فيه الرجل التواتي حيث فيه تترتب وفق نسق قيمي منمط وفق المبادئ المرادة بفلسفة مؤسسة الزاوية، هذا التنميط الذي يكون فيه من الايجابية ومن غير الايجابية (فهو منفتح على الوجهتين).

فكما من شأنه أن يوحد الفعل الاجتماعي ويخلق الانسجام والألفة العامة، من شأنه أيضا أن يكون كابحا لأفق التغير السلوكي وفق متطلبات التغير الحضاري الذي لا ينفك منه أي مجتمع كان.

وبطبيعة الحال نجد أن لهذه الأخيرة "الزاوية" وسائل تستمد منها قوة نفوذها نذكر منها التمثل بالبعد الديني، الالتحام بالتنشئة الاجتماعية، خلق قاعدة بشرية دفاعية منمطة سابقا بذات الفكر المؤسسي للزاوية...وغيرها كثير من أعمدة الإرساء الثقافي.

الكلمات المفتاحية:الزاوية، الصحراء، توات، الفعل الاجتماعي، التغير الاجتماعي.

Résumé:

Toaut qui se situe dans le sud-ouest d'Algérie présente un foyer culturel multiple se manifestantdans ces différents groupes culturels qui réfléchirent dans le comportement des individus. ce dernier est influe par les établissement sociales qui le conduisent tel Zawia qui sert à mettre les comportement social des individus de cette région comme un seul genre ce qui n est pas marché à la logique ni positivement ni négativement et a partir de cet article on va expliquer la relation entre ces notion dans l'environnement d'sahara avec ses spécificités.

Mots clés: Zaouia; Sahara; Touat, action sociale, changement social

مقدمـــــة:

تعد ثنائية (الحضر/الريف) من بين المفاهيم التي داع حضورها سوسيولوجيا نظرا لما تفرزه دلالاتهما الأحادية أو الثنائية، فالحضرية أو التريف يعطيان دلالات معرفية واعتقاديهوممارساتية كما يعطيان نمطا من أنماط الفعل أيضا.

إلا أن لكل فعل منبع يوجهه (بحسب الطرح الفيبيري) ليقدَم لنا في النهاية في أنماطه الثلاث (فعل تقليدي،عقلاني، عاطفي)، والحديث عن "توات" الواقعة بصحراء الجزائر والمعبر عنها إداريا بولاية أدرار يعني الحديث عن مخزون ثقافي ذي دلالة ورمزية دينية في أغلبها.

[1] تسمية توات يعد المسمى الثقافي لمنطقة الصحراء الكبرى المعروفة إداريا بولاية أدرار.

حيث تعد مؤسسة الزاوية أحد أهم أركانها ودعائمها بما تنتجه من خطاب بمحتوى قيمي معين يتشربه أفراد المجتمع على اختلاف توجهاتهم وأعمارهم وانحداراتهم القبلية فيكون بذلك مصدرا للفعل الاجتماعي لديهم مما سيجعل الأمر منعكس في محيطهم الحضاري لأنهم هم من سيبث فيه الحياة وفق نمطية تكبح الحضاري العصري أو تستقطبه أو تتكيف معه بتماهي بيني لا هو تقليدي ولا هو معصرن ومن خلال هذه الورقة البحثية نعالج الإشكال التالي:

كيف تؤثر الزاوية في عملية التنميط الاجتماعي للفاعل الصحراوي بمنطقة توات؟؟ وماعلاقة ذلك بحتميات التغير الحضاري في المجتمع؟

أولا: مدخل تعريفي بمنطقة أدرار(توات الكبرى):

1/ تعريف من حيث الأقاليم والموقع:

إنّ أهم ما يميز دولة الجزائر هو صحراءها الواسعة التي تُميّزها عن غيرها من الدول، خاصة بما تزخر به من خيرات باطنية وظاهرة والتي نجد جزءا كبيرا منها يعرف باسم **"منطقة توات"** أو **"أدرار"**.

«وتوات هي عبارة عن مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الواقعة جنوب القطاع الوهراني وشمال الأهقار...أما مصدرها أي مصدر كلمة **"توات"** فقد حدث فيه خلاف كبير فمنهم من قال أنّ أصل الكلمة **"تكروريةّ"*** بمعنى وجع الرِجل، اثر إصابة أحد الملوك المارين بالمنطقة في رجله ومنهم من قال أن اسم **"توات"** تطلق على أحد القبائل الملثمين من سكان الصحراء، ويرى البعض أن أصلها أعجمي فقد أطلقتها قبائل **"لمتونة"**** عندما التجأت في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي إلى المكان بعد أن وجدوا المكان يناسبهم أي **(يواتيهم)**»[1].

«أما الرأي الذي أسهب في تفسيره وشرحه الشيخ **"سيد البكري"** حيث قال في سنة 518 هـ حين غلب **"المهدي"** الشيعي سلطان الموحدين على المغرب بعث قائديه **"علي بن الطيب"** و**"الطاهر بن عبد المؤمن"** لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات***،فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات...ونرى **"البكري"** يعلق على هذه الرواية قائلا أنها الرواية الأصّح، ولهذا اللفظ مسند في العربية إذ قال في المصباح **"التوت"** هو الفاكهة والجمع **"أتوات"** فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار **"توات"** بعد حذف التعريف والمضاف وصار هذا الاسم على القطاع الصحراوي من **"تبلكوزة"** إلى **"عين صالح"** وهذا التفسير اعتده الكثير من المؤرخين»[1].

فتوات هي قطاع صحراوي تختلف دلالات تسميته باختلاف اللغة العائد إليها (البربرية، العربية)إلاّ أنه «مع نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر هجري استبدل اسم إقليم توات **"بأدرار"** وكان ذلك تحديدا مع دخول الطلائع الأولى للاستدمار الفرنسي 1900م...وهي أي **"أدرار"** كلمة بربرية تعني الحجر أو الجبل»[2] .

---

*لغة أهل مالي.

**لمثونةأولمتونةهيقبيلةعربيةضاربة فيالقدم، متموقعة فيشمالغرب أفريقيا (المغرب،الجزائروموريتانيا)وهي جد منصهرة معالطوارقاليوم.

[1] أحمد مريوش،**الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر،2007، ص 182 .

***الأتوات أي الضرائب والمغارم وتم تسميتها بتوات لدفعهم للأتوات.

[1]أحمد جعفري، «**المخطوطات التواتية (ولاية أدرار) وأعلامها في الخزائن والمكتبات الافريقية**»،مجلة الواحات، المركز الجامعي غرداية، غرداية، العدد الأول، 2006، ص 186.

[2] الصديق حاج أحمد ، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، مديرية الثقافة لولاية أدرار، أدرار، 2003، ص 35.

[3]ولاية أدرار، **أدرار جوهرة الجنوب** ، ولاية أدرار ، أدرار ،دت، ص 02.

والشائع أن كلمة **"توات"** تطلق على المنطقة الوسطى للإقليم،كماتطلق على الإقليم ككل بمناطقه الأربع **(قورارة، توات، تيدكلت، تانزروفت)** أي تطلق على ولاية أدرار عموما فنقول فلان تواتي أي من ولايـــة أدرار وقـــد لا يكـــون بالضرورة من المنطقة الوسطى تحديدا في الإقليم.

وعلى العموم «تقع ولاية أدرار في أقصى الجنوب الغربي، يحدها شمالا ولاية البيض ومـــن الشـــمال الغربـــي بشار، ومن الغرب ولاية تندوف، ومن الجنوب دولة مالي ومن الجنوب الغربي دولة موريتانيا، ومن الجنوب الشـــرقي ولاية تمنراست ومن الشمال الشرقي ولاية غرداية، تتربع على مساحة قدرها 447963 كلم^{2}في تعداد 2001 وبتعـــداد سكاني يقدر بـــ 43903نسمة/كلم^2 في تعداد 2001 أيضا إلاّ أن أغلبيتهم يتمركزون في المناطق الشـــمالية مـــن هـــذه المساحة الشاسعة»[3](أنظر الصورة رقم 01).

صورة رقم (01) : خريطة الجزائر موضحا عليها ولاية أدرار.

2/ قراءة سوسيولوجية في طبوغرافيا الرمزية المعمارية بتوات:

نستهل هذا العنصر بداية بجملة من الصور التي تشكل أهم معالم البناء المحلي التواتي الذي من شأنه أن يعطـــي رمزية خاصة تتفرد بها الولاية دون غيرها لنقدم تبعا لذلك القراءات السوسيولوجية حول ذلك.

صورة رقم (02): شكل القصور بمنطقة توات.

صورة رقم (03):اقفارات نظام مقي الواحات.

صورة رقم (03): ثقافة القواس في البناء الحضاري بتوات.

صورة رقم (04): البناء بتصميم القصبة.

صورة رقم (05): بناء قلعة حديث

ــ إن البناء المعماري التواتي هو ناتج عن تقاطعات ثقافية حتمها الموقع الجغرافي للمنطقة (البعد الإفريقي، البعد الصحراوي،البعد المغاربي، البعد التوافدي).

ــ يرتبط البناء المعماري الحضاري بنمط البناء المصمم في هيئة قلعة وذلك للارتباط التاريخي للمنطقة لأنها كانت منطقة عبور كما أنها منطقة حدودية غير محصنة فكانت الحصانة بها هي ذاتها الأمر الذي خلق لاحقا علاقات اجتماعية تبعا لذلك كالحمية والانتماء للقصر والهوية وهي قيم تدعم التماسك القبلي كما تحافظ على قيم النعرة والقوة، أما الآن فلا يمكن الحديث عن قصر لأن مقوماته الثقافية اضمحلت (التماسك القبلي، المصلحة الجمعية، التمركز حول مكان الأصول،...) وحل محلها مقومات حضرية أخرى لا تدعم "القصر" بمحتواه السوسيوثقافي (النزعة النووية، القيمة الاقتصادية والتمركز حول مكان مصدر الثروة، التجرد من القيم العرفية بحجية خرافيتها...)

شكل رقم (01): أهم العوامل المدعمة والمحطمة لاستمرارية القصر.

عوامل مدعمة		**عوامل محطمة**
التماسك القبلي (العائلة الممتدة)	←	**التماسك الذري (العائلة النووية/ الفردانية)**
سطوة القيمة الاجتماعية (علاقات، تساند، العمل الجماعي..)	←	**القيمة المادية (المنفعية /البرغماتية)**
التمركز حول موطن الأجداد (الأصول)	←	**التمركز حول موطن الشغل (العمل)**
تكريس الفكر الشعبي بامتزاجاته المختلفة	←	**تكريس الفكر المتعالم حتى ولو مظهريا**
النظرة الجندرية المكرسة للتكامل	←	**النظرة الجندرية المكرسة للاستقلالية**

المصدر: اعداد الباحثين.

ــ يرتبط البناء المعماري أيضا بتوارث مبدأ (الأقواس) في القلاع الى الآن والتي بات لها رمزية ثقافية بالمنطقة، وكذا اللون الأحمر الطيني الذي يرتبط بجيولوجية ومناخية المنطقة لكونه كان مادة البناء الأكثر ملائمة للجانب المناخي نظرا

لبرودته صيفا (خاصة وأن الولاية منطقة جد حارة) والآن استمر اللون الأحمر الطوبي دائما في الطلاء للحفاظ على تلك الرمزية التي أخدها اللون بالمنطقة كما أن من مميزات هذا اللون أنه يكسر أشعة الشمس ولا يجعلها تنعكس للعين.

ــ البناء الحالي بات يستمر في ذات الفلسفة القلعية (القلعة) الا أنها تبنى بهندسة محلية دائما ولكنها هندسة واضحة المعالم ويضاف الى حوافها اللون الأبيض التزييني ليطلى البقية بالأحمر الطيني دائما، ويعتد كزينة كريات طينية ترص جنب بعضها لتعطي في الأخير جمالية محلية مميزة.

يضاف الى هاته الرمزيات (القلعة واللون، الأقواس) وجود الفقارات حتى وان كان أغلبها الآن بات غير فاعلا إلا أنها مع ذلك ترمم بأن تحاط اسطوانيا وتزين بكرات الطين للحفاظ على ذات الرمزية الثقافية للمنطقة التواتية.

ثانيا: مدخل تعريفي حول مؤسسة الزاوية:

1/ مفهوم الزاوية:

يشير **التعريف اللغوي** للزاوية «بأنها مشتقة من فعل **انزوى** بمعنى ابتعد وانعزل وسميت كذلك لأن اللذين فكروا في بناءها أوّل مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء الذي يساعد على التأمل والرياضة الروحية»[1].

وقد اعتبر بعض المهتمين بالجانب الثقافي والديني في الجزائر أن الزاوية هي عبارة عن «مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي...شيدت قبابها على أضرحة الأولياء الصالحين أو بُنيت تخليدا لذكراهم، أما عن تسمية الزاوية فهناك من يرى أنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية، أو لأن وجودها كان دوما في أطراف المدينة أو ركن منزوي بها وهي تشبه المدرسة أو الدير»[2] .

نجد وكأن الأصل في بداية ظهور الزاوية كان لحاجة الانزواء فسميت على هذا المسمى أي على مسمى الانزواء، ثم أننا في هذا الإطار صادفنا الكثيرين ممن يربطون مفهوم الزاوية **بالرباط** وكأن أصل الزوايا هو هذه الرباطات على اعتبار أن كلمة الرباطات مشتقة من رباط الخيل التي وردت في الآية الكريمة: ﴿ **وَأَعِدُوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَ اللهِ وَعَدُوَكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مَا تُنْفِقُواْ مِن شَيءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1].

ومن الرباطات أيضا يقول رابط الجيش في الثغر، أي أقام فيه للحماية والمدافعة وسميت الإقامة في الثغور مرابطة ومنها اشتهر في المغرب المرابطون والرباط في الإسلام شعبة من شعب الجهاد في سبيل الله[2].

« فالرباطات قامت أساسا في الثغور وأماكن الخطر التي يهجم منها الأعداء، وهكذا كانت الرباطات قلاعا وحصونا لمنع الخطر الأجنبي، وكان المرابطون هم المجاهدون اللذين يحمون الثغور ويتصدون للأعداء، وبعد تولي العثمانيين الدفاع على الثغور انحصر نشاط المرابطين في أعمال البر والتعليم وإصلاح ذات البّين وتأمين الطرق وقد بنوا لأنفسهم أو بنى لهم الناس زوايا بدل الرباطات أو تحولت الرباطات إلى زوايا»[3].

---

[1] صلاح مؤيد العقبي ،**الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر** ،دار البرق ،لبنان،2002،ص 301.

[2] أحمد مريوش ،**الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر،2007،ص 149.

[1] سورة الأنفال، الآية 60 .

[2] أسعد السحمراني ، **التصوف** ، دار النفائس ، لبنان ، 1987، ص162.

[3] أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب،ج 4، بيروت ، 1998،ص13.

من ذلك فبعض الزوايا كانت في الأساس رباطا، ولكن ليس كل الزوايا كان لها نفس هذا المنحى فهناك من بنيت منذ البداية زاويةً ولم تقم على أساس أنها رباط.

وقد ذكر «دوماس» عام 1847 في كتابه «منطقة القبائل» تعريفا لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال « إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة تحتوي عادة على مصلى، وغرفة لتلاوة القرآن، ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضم غرفة ومراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية »[4]

فالزوايا هي مؤسسة لها طابع ديني واجتماعي وتربوي و أحيانا سياسي، وتعتبر مكانا للعبادة وتقديم المساعدات والتعليم.

2/ وظائف الزوايا:

إن الزاوية كأي مؤسسة في المجتمع قيامها في الأساس ناتج لتغطية حاجات اجتماعية معينة هذه الحاجات التي تتبلور في شكل وظائف ترى الزاوية أن عليها تأديتها اتجاه المجتمع عموما والأفراد المقبلين إليها خصوصا و هذه الوظائف تتمثل فيما يلي:

أ.الوظيفة الدينية:

تعد الوظيفة الدينية في الزوايا من الوظائف المحورية لها فقد «بلورة الزوايا حياة دينية جماعية منظمة بإحكام وشكلا من التقوى المنهجية الرامية إلى الخلاص المستقبلي... فلطالما كانت الزوايا أماكن سامية للروحانيات الإسلامية وقد ساهمت في إشاعة إحساس ديني قوي من باب الحرص الدائم على السمو الأخلاقي في الأوساط الإسلامية»[5].

ب. الوظيفة الاجتماعية:

فمن المشهور عن الزوايا تبنيها للجانب الاجتماعي بأساليب مختلفة «فقد اضطلعت الزوايا الجزائرية مثلا بدور اجتماعي لا يستهان به ...فقد كان بعض المرابطين بمثابة بركة بالنسبة لقبيلتهم أو دوارهم في فترة كانت فيها الساكنة الإسلامية للأرياف غير مسيَرة كما ينبغي، و عرضة لتعسف الأقوياء اللذين سعت الزوايا إلى تلقينهم مبادئ الأخلاق الاجتماعية الضرورية القائمة على احترام الكبير وإكرام الغريب، وحب المساواة وغيرها...»[6] .

ج. الوظائف التربوية والتعليمية:

فالزاوية مؤسسة تربوية تعليمية بلا منازع سواء في هيكلتها التي تضم قاعات خاصة بالتدريس، أو في مواردها البشرية التي تضم طلاب وشيوخ للتدريس أو حتى في برامجها التي تركز على حفظ الكتاب والسنة وعلوم الشريعة عموما.

«وتعد التربية الدينية والتوجه القرآني من أولى اهتمامات الزوايا في العملية التربوية وذلك بغرض عدل السلوك ...وتحقيق استقرار نفوس المراهقين وتهذيبهم بالقيم القرآنية ...الأمر الذي سينعكس على تصرفهم اليومي ...كما أنه في المجال التعليمي أيضا نجد أن التربية المدنية أخذت قسطا وافرا من التكوين في الزوايا فالطالب يسير على نظام داخل الزاوية مضبوط جدا بجملة من القوانين كاحترام الوقت والمواعيد، وأداء الفرائض وتقديم الخدمات داخل الزاوية وغرس قيم العمل التطوعي وغيرها...»[1]

---

[4] عبد العزيز الشهبي ،**الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في** الجزائر ،دار الغرب،وهران ،2007،ص ص 13،14

[5] علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر** ،ترجمة محمد يحيان، دار الحكمة ،ج4، ط2،الجزائر ، 1999، ص 74 .

[6] نفس المرجع ، ص 75 .

[1] أحمد مريوش ،**مرجع سبق ذكره** ، ص 173.

د. الوظيفة الجهادية:

إن استقلال الجزائر مدين للزوايا في هذا الصوب، فكثيرا ما كانت تتبنى ثورات ضد المستدمر «فقد كان للزوايا وظائف أساسية في هذا المجال أي مجال الجهاد منها أنها أصبحت ملجأ للفقراء والمضطهدين ...كما كانت تقوم بتعبئتهم وتحفيزهم إيديولوجيا الأمر الذي جعل منها باعثة للصبر والأمل، ومحركاً للعديد من التمردات والثورات وهي بذلك حافظت على التراث والثقافة العربية الإسلامية بالتحول إلى مراكز ثقافية ومعاهد علمية » [2] .

وقد انتهت هذه الوظيفة بأخذ الجزائر لاستقلالها وأصبح التركيز على الوظائف الأخرى السابقة الذكر أعلاه.

3/ واقع الزوايا التواتية:

تشتهر منطقة توات في مركزها (أدرار) وعلى أطرافها بإسهامها الديني وبعلمائها الذين داع صيتهم حتى خارج الوطن الجزائر، وللزوايا المنطقة واقعها المحلي وخصوصيتها التي تعطيها الاستقلالية والانفراد عن مختلف الزوايا خارج توات.

والشيء الذي يلاحظ أن أغلب زوايا المنطقة ظهرت ما بين القرنين السادس والثالث عشر هجري وهذا يعود إلى استقرار مجموعة من العلماء بالمنطقة اللذين ساهموا في عمارتها ومنهم الشيخ «سليمان بن علي» والشيخ «محمد بن عبد الكريم المغيلي» [3].

ففي توات نجد زخم هائل من الزوايا حتى تكاد تسمع لكل مجمع ضخم من السكنات زاوية خاصة به وتابعة له، ولكن هناك عدّة أنماط من الزوايا متمايزة بعض الشيء عن بعضها نوجزها في التالي:

أنواع الزوايا بمنطقة توات: في منطقة توات توجد ثلاث أصناف هي[4]:

- **الزوايا العلمية**: وهي عبارة عن مدارس أقيمت لتعليم الناس أمر دينهم واستقبال الطلبة من خارج المدينة والتكفل بإيوائهم وإطعامهم ومثال ذلك مدرسة الشيخ «أحمد باي» بأولف.
- **الزوايا الخيرية**: وهي عبارة عن مباني أقيمت لاستقبال الضيوف وأبناء السبيل والعابرين للمنطقة حيث يوفر لهم المأوى والمشرب والمأكل والأغطية، ويستطيع العابر أن يقيم فيها ما شاء من الأوقات كزاوية مولاي هيبة مثلا.
- **الزوايا الصوفية**: وهي عبارة عن أماكن لأتباع الطرق الصوفية يجتمعون فيها ويرددون فيها أورادهم وأذكارهم...وتعتبر الطرق الصوفية غير مترسخة في المنطقة بشكل كبير، إذ حتى الذين ينتمون لها يقتصر انتماءهم على أداء الورد اليومي في الذكر.

ثالثا:الفعل الاجتماعي (بين الحضرية الزمنية وتقليدية الزاوية بتوات):

تقوم الظاهرة المجتمعية على تجميعية سلوكات الفاعليين الاجتماعيين(كما يسير إليهالفردانيون مثلا في منطلقاتهم النظرية)، وذلك لكون الفعل المنصب في المحتوى الاجتماعي تكون له موجهات وآثار تتبع من ذات هذا الأخير (المجتمع)، إلا أن لكل مجتمع قوالب يندمج فيها هذا الفعل الاجتماعي ليخلق الانسجام العام، حيث قد تكون هذه القوالب مرصعة بالقيم والأعراف الاجتماعية أو الدين أو جماعات اجتماعية معينة...الخ.

---

[2] محمد مكحلي ،**« دور الزوايا الإصلاحي في تحضير ثورة التحرير»** ،الملتقى الوطني الأول بعنوان دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية منشورات وزارة المجاهدين الجزائر ، 2007، ص 277 .

[3] مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية أدرار ، الملتقى الوطني الأول بعنوان: المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة ترسيخه ونشرهأدرار يومي 23-24 جوان 2010.

[4] قدي عبد المجيد ،**صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة**، دون ذكر دار النشر، د ب،دت ،ص 204.

وفهم المجتمع بذلك سيكون بفهم موجهاته المحركة له من الأساس، وعندما نتحدث عن ولايـــة تـــوات (أدرار) سنتحدث فيه عن موجه الزاوية كمؤسسة دينية تربوية، حيث تعد جل مخرجاته من مفردات هاته الأخيرة، بل و حتى ان لم تكن من مخرجاتها فهي تابعة لإيديولوجيتها العامة لكونها تؤطر حيزا كبير من الفعل بها لذا لا معنـــى يفهـــم للفعـــل خارج فهم خطابات الزاوية.

كما أن وجود هاته الأخيرة يعني وجود رجال علم وفقهاء الدين الذين لهم تقدير كبير جدا من عامة المجتمع(وقد يغالى فيه في أحيان معينة خاصة من الأميينوالمتواضعي التعليم) مما يجعل الوضع الكائن هو وجـــود شـــريحة عالمـــة عالية المقام والشريحة المتبقية التابعة لها حيث هي التي تكرس عليّة هذا المقام بالاحترام وإعطـــاء الأســـبقية والتبـــرك ....الخ.

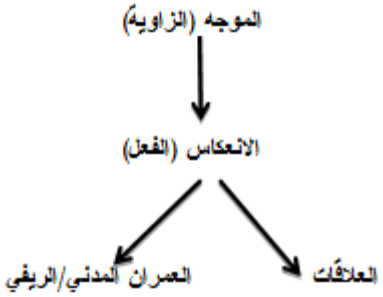

كما أنه حتى وان كانت الزاوية تخلق الفعل الاجتماعي (السلوك) فهي تلقائيا تخلق الممارسة الاعتقادية والعرفية وكذا تساهم في بناء قناعات الأفراد حول مجمل سلوكات المدنية ومن خلال بعض الملاحظات التاليـــة حـــول طبيعـــة المخرجات **سنستشف انعكاساتها في الوسط الحضري للمجتمع***،وقد كانت خصائصهم كالتالي:

لهم نسق قيمي مدني ذي صبغة دينية فكل قيمه هي بالضرورة ممزوجة بالجانب الديني.

- يهتمون بالقيم النظرية إذ تشكل لديهم **قمة** هرمهم القيمي (البعد المعرفي)
- يهملون القيم الفنية بحيث تمثل **قاعدة** هرمهم القيمي.
- همأميل للتمسك بالفعل الاجتماعي التقليدي دائما في ممارستهم للقيم.
- يتخذون موقف الحياد أو الوسط عندما لا يستطيعون نفي أهمية شيء لا يدخل ضمن القيم التقليدية أي يكون يؤيـــد معطى عصري.
- أهم قيمة سائدة في سلوكهم هي قيمة الولاء للزاوية .

للتنشئة الوالدية دور في تكريس فكرة قداسة شيوخ الزوايا.

- لمؤسسة الأسرة دور في توجه الأبناء للزوايا (استقرار الأسرة، حجم الأسرة).
- يمثل الشيخ محور العملية التعليمية في الزاوية بل ويتعداها إلى مجالات الطلاب غير التعليمية **فهو محـــور حيـــاة** الطلاب بشكل عام.
- لطلاب الزاوية فصلا بين الحياة المهنية والحياة التعليمية بحيث وجود إحداها يبعد الأخرى وهم في الغالـــب غيـــر فاعلون مهنيا ويبررون ذلك بعبارة (متفروغون للعلم).

*وهي نتائج دراسة ميدانية حاولنا فيها التعرف على منطلقات النسق القيمي لمخرجات الزاوية.

هذه الخصائص تخلق خصائص حضريةتبعا لها وهي:

- سيادة البعد النمطي التقليدي في هندسة المساكن وفي الجانب المعماري (تقديم غرفة الضيف وعزلها ، وجود البهو ، وجود زريبة الغنائم...) مع بداية تهشم هذه الخاصية بسبب ولوج سكان الشمال واستوطانهم في توات.
- غياب الفضاء الفني والترفيهيسواء تعلق الأمر بساحات العمومية ذات البعد الترفيهي (حدائق، ملهى أطفال...وكذا الاحتفاليات إلا ما كان ببعد ديني أو شعبي (زيارات مثلا).
- وجود التراتبية السلوكية التابعة للتراتبية الطبقية (خاصة في حالات التزاوج ، عند الخصام، الانسهارالتعاملي...).
- تميز الفعل الاجتماعي بـــ:البساطة والتلقائية، السماحةفإذن إن المجتمع التواتي كما وصفه الشيخ **"محمد باي بلعالم"** على لسان **"فرج محمود فرج"**«هم جماعة محافظة على تقاليدها، حيث كان لأماكن العبادة ورجال الدين جانب هام من التقديس والاحترام عندهم، ولا يخلوا قصرا من قصورهم من جامع أو زاوية أو خريج لأحد الأولياء، كما كانوا حريصين على الاحتفال بالمناسبات الدينية وذكرى أوليائهم في كل عام ...كما قد وصفهم بأنهم أهل تقوى وصلاح»[1] وهذا ما زكاه أيضا الرحالة الألماني **"جير هارد رولف"** حيث قال «إنهم قوم مسالمون ويحترمون رجال الدين»[2].

من ذلك نجد أن مؤسسة الزاوية موجه فعلي يخلق التقليدية السلوكية هذه التقليدية تنعكس على المستوى الحضاري بكل مجالاته (العمرانية، الممارساتية، الاعتقادية...).

خاتمـــــة:

إن المجتمع وفق نظرية النظم يركز على طبيعة المدخلات والعمليات التي تمر بها ثم يضطلع على المخرجات بكل خصوصياتها لتكون بذلك القراءة الشمولية له، ومن ذلك المجتمع التواتي الذي يتميز ببعده الديني والقيمي المفرز من طبيعة مؤسساته الفاعلة خاصة مؤسسة "الزاوية" محور الكيان التواتي.

كما لا يخلو الأمر من أن لكل مؤسسة خطاب خاص من شأنه أن يخلق نمط معين من الفعل الذي سينعكس لا محال على البعد الحضاري بالمجتمع، وهذا ما تم ملاحظته من مخرجات الزاوية التي تكرس نمط الفعل التقليدي الذي نجده منعكسا ومصقولا في النسيج المعماري والعقدي والممارساتي للفرد التواتي.

ومن تمة يمكن القول أن البعد الحضاري بالمجتمع ليس بعيد عن ذاكرته الجماعية حيث يكون بهاته الذاكرة قواعد ضبط يخلقها المجتمع بأحد آلياته المؤسسية أو البشرية والتي تجعل الأفراد على اثر ذلك منجذبون إلىانتقاءات بعينها يكون معيار تواجدها لديهم هو ما تم توجيه الأفراد اليه من طرف المؤسسات الاجتماعية التي يعطيها الفاعلون الشرعية التقبلية.

[1،2] محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، دار هومة،ج2 ،ب ب،2005، ص 66.